الثورة في شعر محمد محمد علي

د. حمد النيل محمد الحسن – جامعة الخرطوم كلية الآداب

المستخلص :

تبدو معالم الثورة واضحة في أدب محمد محمد علي، فهي ثورة عارمة شملت كل أوجه الحياة، بداية بالوطنية ومناهضة الاستعمار، ثم ثورته ضد واقعه المعيش وما يخيم فيه من فقر وجهل وتخلف، وثورته ضد السياسيين وزعماء الطائفية، وشيوخ الدين الذين سخر الدين لمصالحهم الخاصة، وكذلك ثورته في العهد العلمي، على شيوخه، ومناهجه، وأعرافه، وثورته في وجه القيود الدينية التي يراها تحول دون تمتعه بالحياة على الطريقة التي يراها لنفسه، وغير ذلك من الثورات، وقد صدر عن هذه الثورات في نفس الشاعر أمور عدة بدت معالمها واضحة في شعره متمثلة في القلق، والضيق، والكآبة، والاضطراب، والميول إلى العزلة، كلها قد اجتمعت في نفسية الأديب الحساسة فدفعته إلى البحث عن مهرب منها، فحيناً يهرب إلى عالم الجمال ليذوب نفسه فيه، وينشد عنده سلوانه ، وحيناً يجد راحته فيما يغيبه عن هذا الكون فيلج عالم الرومانسية وحيناً عالم الصوفية ، وكل عالم آخر يرى فيه فكاكاً من الإحساس بالمعاناة القابع في نفسه. وهكذا قضى الشاعر حياته متنقلاً بين تلك العوالم ، حتى أخلد إلى عالم السكون الأبدي.

ABSTRACT

The signs of Revolt appear clearly in Poetry of Mohamed Mohamed Ali. It was a total revolt that covered all aspects of life. It started with nationalism and anti-colonialists sentiments. Then it further covered his revolt against the living reality; and its poverty, ignorance and backwardness. Likewise, there is his revolt against his ‘shaikhs’, in “Al-Maahad Al-Ilmi”; which included the syllabuses and conventions, as well as the religious restrictions, which he saw as forbidding him to enjoy life, as he saw it fit for himself. In addition, there were other revolts.

These revolts, left several matters in the soul of the poet, which sign-post were clearly seen, in his poetry, as represented by anxiety, depression, tension and the feeling of loneliness. They all gathered in the sensitive personality of the poet and pushed him to the search for an escape. So, he escaped to the world of beauty, to dissolve his soul, in it and ask for his recourse. At times, he escaped to the world of what absents him from this universe, where he would find his comfort in romanticism. Others, he fled to the world of Sufism and toil of his soul. Thus, he toured all these worlds until he reached the world of eternal silence.

تعريف بالشاعر:

ولد الشاعر السوداني محمد محمد علي بحلفاية الملوك 1922م يقول عن مولده "**في قرية من قرانا التي اختلطت فيها مظاهر البداوة بظلال المدينة ولد طفل ضئيل نحيل، وكانت ولادته حدثا خطيرًا في حياة أسرته، أشاع المرح والفرح، وأطلق الزغاريد من حنجرة النسوة وأسال الدماء من حناجر الخراف، فهو أول طفل تعرفه هذه الأسرة، ومنذ أن ولد أصبح ابنا لخمس نسوة، أمه**

وخالتيه، وجدته لأمه، وجدته لأبيه، وكن جميعًا يرأمنه كما ترأمه أمه، والتي مكث في بطنها تسعة أشهر– وكان يحبهن جميعا كما يحب والدته، ولذا نشأ مدللا تدليلا كاد يفسده، فقد ظل محمولا حتى جاوز السادسة من عمره، ولم يجد طيلة هذه الفترة مجالا لصحبة الأطفال والتمرس بمصاولتهم ومشاكستهم."[1] توفيت والدته وتركته صغيرًا فقامت على تربيته خالته والدة الشاعر إدريس جماع فقضى الأديب أيام صباه متنقلاً بين قرية أم حريزات ريفي رفاعة والحلفاية، وينتمي الأديب إلى أسرة العبدلاب، وهي من الأسر ذات السيادة والحكم في السودان أيام سلطنة الفونج، وقد كان جده لأبيه آخر سلاطين العبدلاب الذين لم يزل سلطانهم إلا بدخول الجيش التركي الغازي للسودان. تخرج في المعهد العلمي 1945م عمل بالصحافة بين عامي 1945م–1946م وأصدر مقالاته في كتاب (من جيل لجيل)، وكتابه (محاولات في النقد) عام 1958م وهو مقالات صحفية نشرها بين عامي 1952م–1958م. سافر إلى مصر والتحق بكلية دار العلوم ونال منها ليسانس اللغة العربية، ثم التحق بجامعة إبراهيم بالقاهرة ونال بها دبلوم التربية، وعاد إلى السودان فعمل أستاذاً للغة العربية بمدرسة وادي سيدنا، ثم بمعهد المعلمين العالي. نال درجة الماجستير من دار العلوم، وكان يعد العدة لنيل الدكتوراه منها ولكنه توفي 1970م قبل أن يحقق ذلك الطموح، له ديوانان من الشعر الأول (ألحان وأشجان) وقد نظم قصائده في الفترة بين عامي 1936م– 1960م، والثاني (ظلال شاردة).وقد ضم القصائد التي نظمها بعد 1960م.

يقول عنه الشاعر الأديب محمد المهدي المجذوب مبيناً عن مكانته الأدبية ومشيراً إليه: **(ومن العجيب أن نلحظ الآن أن أواخر الثلاثينيات– والتيجاني يلفظ آخر أرماقه– كانت بحق إرهاصاً بمولد أعظم شعراء السودان على الإطلاق).**[2] ويقول عنه د. حيدر إبراهيم علي: **"ومن المعيب أن يهمل كتاب عنوانه (رواد الفكر السوداني) إعداد محجوب عمر باشري، تزيد صفحاته عن الأربعمائة، اسم الأستاذ محمد محمد علي، ومازال الصمت المتآمر أو الجاحد أو اللا مبالي يواجه ذلك المبدع المتميز."** [3]

محمد محمد علي والثورة:

قال عنه بروفسور عون الشريف قاسم: **"وكانت حياة شاعرنا سلسلة من الجهاد الذي لا يفتر".** [4] مما يبدو واضحاً من خلال الوقوف على أدب محمد محمد علي أن الثورة أوضح سمة لهذا الأديب، كما يصورها أدبه الذي يدور بأكمله في فلكها، فقد أحب الثورة ومجَّدها منذ

صغره وحداثة سنه، ووهب لها حياته غير مبال بما يلاقيه في طريقها من صعاب جمة، وويلات عظام، فهو كما يقول عن نفسه أنه قد أَلِف حياة الصراع:

ألفتُ الصراعَ فلا أستــسيغُ حيــاةَ الهدوءِ وطيبَ المنامْ
تعلَّقَ قلبي بحبِّ الجـــديدِ وفكِّ القُيُودِ وخوضِ الضرامْ
فأضحَى شِعاري لنفسي وقومي نداءُ الحياةِ (الأمامْ الأمامْ) (5)

وكثيراً ما يعتد الشاعر بثوريته وصبره على ما يلاقيه في طريقها، يدفعه إليها حبه للبشر الذين ثار من أجلهم، لأنها لم تكن من أجل تحقيق مطمح شخصي خاص به:

فما نالَ منِّي قراعُ الخطوبِ ولا نالَ منِّي عناءُ السَّفَرْ
أطيرُ إلى غايتي كالعُقابِ جناحَاي عزمِي وحبِّي البَشَرْ (6)

فبالرغم مما لاقاه الشاعر في سبيل ثورته العارمة لم ينثن عنها، بل يمضي في طريقه مصمماً على مواصلة ثورته؛ حتى يصل بها إلى غايتها أو يموت شهيداً دونها كما يصرح بذلك في قصيدته (طريقي) :

هذا طريقي في الحياةِ ولم أزلْ أصبُو إلى الشَّطِّ الذي لم يُخْلَق
في عالمِ الشهداءِ يهدأُ ثائري إن فاتَنِي في الأرضِ حظٌ مُوَفَّق(7)

ودليل على أن الثورة قد كانت متأصلة في نفسه؛ فإنه بالرغم من إحساسه في أخريات درب حياته القصير بالخيبة والخذلان في ثوراته، ومحاولته الهروب من عالمها إلى عوالم أخرى، إلا أن قلبه ما زال مضطرماً وتواقاً إلى عالمها كما يقول:

من زمنٍ بعيدْ
فارقَني مُغاضِباً نهاري السَّعيدْ
العمرُ شابْ
والقلبُ من شِقْوَتِه معانِدٌ وَثَّابْ
قلبي يريدْ..
ووثبتي تحدُّها الأغلالْ
لم يبقَ غيرُ الليلِ أَبُثُّه الأشجانْ (8)

دوافعها:

أ/ استنارته بالعلم وتفتح ذهنه:

قال المتنبي:

أَفاضِلُ الناسِ أَغراضٌ لِذا الزَمَنِ … يَخلو مِنَ الهَمِّ أَخلاهُم مِنَ الفِطَنِ (9)

حبه للعلم والأدب، دفعه للاطلاع على الكتب، قراءة فاحصة مكوناً رأيه حولها، قوة شخصيته العلمية. فلم يكتف بما تلقاه من علم في المعهد العلمي، بل إنه بالرغم من ظروفه المادية الصعبة سافر إلى مصر طلباً للاستزادة من العلم. ويكفي دليلاً على استنارته بالعلم ثورته على النظم والمناهج التعليمية في المعهد العلمي وهو لا يزال طالباً للعلم في أروقته، في سن لم يجرؤ فيها تلميذ من التلاميذ على أن يكون له رأي مخالف لما ارتضاه شيوخ المعهد وأساتذته؛ لما سيناله من العقوبة الشديدة التي تصل إلى حد الفصل من المعهد العلمي، كما كان التلاميذ بالمعهد آنذاك يتذاكرون قصة أحد التلاميذ المفصولين من المعهد واسمه (التيجاني يوسف بشير) ممن سار من قبل في ذات الدرب الذي سار عليه محمد محمد علي، وهذا ما سيُفْصِح عنه هذا البحث لاحقاً.

ودليل آخر على استنارته بالعلم أنه كتب عقب تخرجه في المعهد مباشرة في إحدى الصحف:(**كُتُبُ العقاد تعلم القارئ الصبر على القراءة والتأمل، والغوص إلى أعماق الأشياء، والنظر إلى المجتمع، وإلى خبايا النفس، من أبواب كثيرة. وكتب زكي مبارك تعلمه الجرأة، وتمده بفيض من الفتوة والحيوية. وكتب المازني تضع بين عينيه حماقة الإنسان، وضلال المجتمع، فتضحكه من كل شيء حتى تضحكه من نفسه. وكتب طه حسين تبذر في نفسه بذور الشك، وتنزع من صدره قداسة الماضي، وجلاله، وتعلمه على الكلام الكثير القليل المحصول، وتدعوه إلى الإقبال على الأدب العربي دعاء حاراً.**) (10) فهذا رأي أصيل عن أعلام الأدب العربي في الساحة الأدبية آنذاك، لم يكتبه الأديب محمد محمد علي لأنه سمعه من أحد أساتذته أو شيوخه في المعهد العلمي، فهم في الغالب ما زالوا محصورين في المتون وشروحها، ولم يفتحوا أعينهم على غيرها، فمما لا شك فيه أنه استنتجه من قراءة دقيقة ومتأنية وفاحصة لكل كتبهم؛ حتى استطاع أن يكوِّنه وأن يبوح به على الملأ بثقة عالية من نفسه، تسندها قوة شخصيته التي لا ترضى له أن يكون واحدًا من الببغاوات وما أكثرهم في ذلك الزمان.

ب/ كبر نفسه وإحساسه بالمسئولية:

قال المتنبي:

وَإِذا كانَتِ النُفوسُ كِباراً … تَعِبَت في مُرادِها الأَجسامُ (11)

الإحساس بالمسئولية تجاه المجتمع والوطن، ويقظة الشعور، والروح القيادية، وقوة الشخصية، كلها سمات اجتمعت في شخصية الأديب محمد محمد علي لكبر نفسه التي لا ترضى له أن يرى وطنه ومجتمعه إلا في مقدمة الأوطان والمجتمعات. فهو في كل مراحل حياته قد كان مستشعراً عظم تلك المسئولية؛ فانتماؤه إلى قبيلة العبدلاب أهل السلطان والسيادة، وتسلحه بالعلم والمعرفة في زمن لم تفتح فيه أبواب العلم إلا لقلة من أبناء هذا الشعب، كل ذلك جعله معتداً بنفسه مستشعراً ضرورة أن يكون حاديًا للركب نحو الغاية المرجوة.

فهو لم يرض لنفسه أن يكون واحداً ممن يسير في ركاب القوم الذين يحملون هموم أهلهم ووطنهم فحسب، فمع إحساسه بهذه المسئولية أبت عليه شخصيته القوية إلا أن يكون قائداً لهم جميعاً، فقد حاول جاهداً أن يتبنى له خطاً في الثورة والسعي نحو الجديد بالطريقة التي يراها هو بنفسه وعقله وإن خالفت رؤية الآخرين، فهو لا يعبأ بمن يخالفه الرأي مادام الهدف واحداً، كما يقول معبراً عن إحساسه بعظم تلك المسئولية، ورضائه بتحملها، وهو لم يزل في السادسة عشرة من عمره:

حسْبِي ثراءً يقظةُ الشعورِ
وثورةٌ مجْـــنُونةٌ السَّعِيرِ
تهتزُّ كالبركانِ في تَاموري
مذخورةٌ ليومِنـــا الخطيرِ
أهوالُها بالغاصبِ المغرُورِ
محيطةٌ كالقَدَرِ المَقْدُورِ (12)

ويتمدد إحساس الشاعر بعظم المسئولية لا في وطنه فحسب بل يتسع هذا الإحساس ليشمل كل وطنه العربي الكبير، فيسافر بإحساسه ليخرج من حدود وطنه فيقف مع إخوانه المصريين في ثورتهم من أجل تحرير قناة السويس عام 1956م، فنظم قصيدته (مصر الباسلة) مشاطرة لهم، وفيها وصف بسالتهم وتضحيتهم من أجل وطنهم، ومما جاء فيها من المشاهد الثورية:

وأرَى جمُوعاً مثلَ مَدِّ ... البَّحْرِ في الشَّطَّينِ زَاخِرْ
تُزْجِي حناجِرُها هتا ... فاتٍ تَضيقُ بِها الحناجرْ (13)

ولا تغيب مأساة فلسطين عن إحساس الشاعر الثائر:

وجُرْحُ العُرُوبةِ في خافِـــقِي ... لهُ كلُّ يومٍ دمٌ مُنْسَـــكِبْ
فلسطينُ أخنَتْ عليها الصُّرُوفُ ... وباتَ يصـــولُ بها المنتَهِبْ
وهامَ بنُـــوها مع الهائمينَ ... بكلِّ ســبيلٍ ورَبْعٍ خَرِبْ (14)

ويقول في قصيدة (أنا فدائي) مشاطراً إخوانه الفدائيين الجهاد بشعره ومستشعراً عظم المسئولية تجاه فلسطين:

يا فلسطينُ الحبيبةُ
الفدائيونَ قدْ هزُّوا فُؤادِي
والدماءُ اليومَ ينبوعِي وزادِي
ليس يُثْنِيني ضَلالي أو رَشَادِي
عن تباريحٍ يُعَانيها الفِدائي (15)

ج/ ثورة 1924م:

ولد أديبنا محمد محمد علي قبل هذه الثورة بعامين فقط، ولكن ما أعقبها من وعي سياسي في السودان قد مهد له الطريق ليسير في درب الثورة فيما بعد؛ فقد أحدثت ثورة 1924م التي اندلعت في السودان في وجه المستعمر الإنجليزي انقلاباً كبيراً في الوعي السياسي، إذ لم يكن الناس فيه من قبل تلك الثورة يعنون كثيرًا بشئون السياسة والحكم والسيادة، وإنما أوكلوا هذا الأمر برمته لقيادات دينية وطائفية ينصاعون لأوامرها، ولا يخرجون عن إرادتها، وطاعتها أبداً، وهم بدورهم ينصاعون للمستعمر الذي أدرك هذه الخصيصة في المجتمع السوداني فاستثمرها لصالح توطيد سيادته؛ فعمد إلى إرضاء تلك القيادات بشتى السبل، كما يقول أديبنا محمد محمد علي: "**رفضت حكومة السودان الدين في صورته الحية المقاومة، شنت عليه الحرب، ولكنها احتضنت زعماء الطرق الصوفية المسالمين، وروضت الجامح أو من ظنته جامحاً منهم؛ ليسهل القبض على نواصي أتباعهم ومريدهم... وأمرت حكام الأقاليم أن يتقربوا إليهم، ويمنحوهم الصدارة الاجتماعية ،ويقضوا حاجاتهم...**"(16) وقد ظل الأمر على ذلك حتى تفتحت أذهان بعض المتعلمين والمثقفين في المجتمع السوداني، فانتبهوا لما هم فيه من ذل المستعمر، والتبعية العمياء للقيادات الطائفية المذعنة له، فكانت ثورة 1924م تمردًا على الاثنين معاً، فقد تخطت تلك القيادات التقليدية لتخرج مناهضة للمستعمر، ثم انقلبت بعد ذلك مناهضة لمن أعان ذلك المستعمر من تلك القيادات الطائفية والدينية. فكانت بحق انقلابًا عظيمًا في تاريخ الحركة السياسية والوطنية في السودان، فعندما فتح أديبنا عينيه وعقله على الدنيا رأى جذوة هذا الثورة ما زالت مشتعلة في نفوس الشباب المثقفين، فانخرط في صفوفهم، دافعاً نفسه بحماس شديد ليضع نفسه في طليعتهم.

مظاهر الثورة في أدبه:

1- غلبة الثورة على موضوعاته الشعرية:

سمى الشاعر ديوانه الأول (ألحان وأشجان)، والثاني(ظلال شاردة)، ولم يشر الشاعر أو من كتبا المقدمة لكل من الديوانين إلى سبب هذه التسمية، وكما هو معهود أن يسمي الشاعر ديوانه باسم قصيدة من قصائده، لوقعها من نفسه موقعاً مستحسناً، أو لأنها تبين عن منهجه في الحياة والأدب، أو لما يماثل ذلك، ولكن بالرجوع إلى ديواني أديبنا لم نجد قصيدة عنوانها يطابق مسمى الديوان، ومن هنا يمكن استنتاج الآتي:

أ- (ألحان وأشجان) مسمى ديوانه الأول، جاءت فيه قصيدة بعنوان(أشجان)[17] وهي قصيدة ثورية وطنية مناهضة للاستعمار، وفيها حث على الثورة، وتحمل إحساس الشاعر المفعم بالأشجان لإحساسه بقيد المستعمر. فربما كانت هذه القصيدة هي التي خصها الشاعر بشطر عنوان الديوان، أما الشطر الثاني فهو الألحان فالديوان ملئ بها، وأحسبها الألحان التي يتغنى فيها بجمال الطبيعة، ومناجاة المحبوب، واسترجاع الذكريات الجميلة.

ب- (ظلال شاردة) مسمى بها ديوانه الثاني ففي الغالب الظلال هي أمانيه وطموحاته الثورية التي سعى إلى تحقيقها، ثم أدرك أخيراً بعد أن أفنى عمره في مطاردتها لأجل تحقيقها أنها بعيدة المنال، فكلما اقترب منها تشرد منه مبتعدة. وهكذا فقد جاء عنوانا ديوانيه منطلقين من قوس الثورة، وذلك لما تحتله الثورة من حيز واسع في حياته.

في ديوانه الأول الذي جمع فيه قصائده التي نظمها حتى عام 1960م، وعمره آنذاك ثمان وثلاثون سنة كان أثر الثورة ومظاهرها فيه قوياً وواضحاً، فقد كانت الثورة فيه أشد اضطراماً، وربما كان ذلك لأنها كانت تملأ قلب الشاعر وعقله؛ بحكم سن الشباب وما يلازمها من اندفاع وراء العاطفة التي تتغلب على قوى العقل في تلك المرحلة من عمر الإنسان، ومن هنا فقد كانت الثورة موضوعاً لكثير من قصائد هذا الديوان. جاء ديوانه الثاني حاوياً للقصائد التي كتبها بعد العام1960م وإلى وفاته1970م، فقد كان أثر الثورة فيه أقل مما كان في الديوان الأول، فقد طغت على هذا الديوان قصائد المناسبات والاجتماعيات، ولعل ذلك يرجع على عدة عوامل منها:

أ- عندما نظر الشاعر إلى حقيقة ثورته، ومحصلتها بعد كل تلك السنين التي قضاها ثائراً ،لم ترضه تلك المحصلة؛ فأحس بعدم جدواها، كما أحس بمرارة الخيبة والحسرة والخذلان، فلجأ إلى الهروب من عالم الثورة إلى عوالم أخري.

ب- بزوال الاستعمار الإنجليزي ونيل البلاد استقلالها عام 1956م، انطفأ أكبر باعث للثورة في نفس الشاعر، وهو مقاومة الاستعمار. وقد كثرت في ديوانه الأول القصائد والمقطوعات التي وظفها الشاعر لهذا الغرض، في حين كاد يخلو منها ديوانه الثاني.

ت- تقدم سن الشاعر، وما صاحبها من همود العاطفة ، وخمود الانفعال، إضافة إلى مداهمة الداء له في بداية هذه المرحلة؛ ما جعله ينصرف إلى التفكير في شأنه الخاص وشأن أسرته. كما يقول معترفاً في قصيدته (اعتراف):

وكنتُ في يومٍ شُجاعاً
لكنَّني عَمِيتُ عنْ طريقِي
وخُضْتُ في الصُّفُوفْ
برغبةٍ وثَّابَةٍ وناظِرٍ مكفُوفْ
فأبرقَتْ في غرفَتِي أشعةُ العُيونْ
عيونُ طفلةٍ
وعيونُ طفلتَينِ
وعيونُ رابعة
إن خطوتُ خُطْوةً رجعْتُ خلْفِي خُطْوَتينْ
فكانَ أنْ أعيشُها معيشةَ الجبانْ. (18)

فكأن الشاعر قد أحس باقتراب موته، فانصرف عن الثورة استعداداً لمقابلة مصيره، ولعل هذا ما يحسه القارئ في قصيدته(زفرة) التي وصف فيها الشاعر معاناته ورثاءه لنفسه:

فُـؤادٌ مــا يزالُ له وَجِيــبُ ونفسٌ لا يُبَارِحُـــها النَّحِيبُ
وآمـــالٌ محطَّـمةُ وسهْـمٌ من الأقْـــدارِ مِرْنَانٌ مُصِيبُ
لـــهُ في كلِّ آونـــةٍ صِـيالٌ لهُ في كلِّ جارحـــةٍ نُـــدُوبُ
وأوصالٌ مُـــرَزَّأةٌ عِجَــافٌ وأحوالُ هي العَجَبُ العَجِيبُ(19)

ولعل هذا الإحساس نفسه قد كان سبباً في قلة قصائده العاطفية التي يصف فيها ليالي لهوه وطربه الملاح في هذا الديوان، رغم كثرتهما في ديوانه الأول.

2- تجلي ثورته في كل معاني شعره الأخرى:

لم يكن أثر الثورة منحصراً في شعره في هذه القصائد الثورية التي تمثل الثورة موضوعها الرئيس، ، بل امتد أثرها ليشمل معظم معاني شعره في قصائده الأخرى التي لم تكن موضوعاتها ذات صلة بالثورة، فهاجس الثورة لا يغيب عن خياله حتى عندما يركن إلى لحظات الحب ومناجاة المحبوبة، فقد جاء كثير من شعره العاطفي مشوباً بثورة عارمة تظهر في استخدامه مفردات الشعر الثوري وتعابيره ليعبر بها عن حبه لمحبوبه كما في قصيدة (حيرة) إذ يقول:

يا صفوفَ الموجِ سِيري واقفَزِي نحوَ حبيبي

واحْمِلِي شَوقِي لهيباً فهو مشْبُوبُ اللَّهِيبِ[20]

فقوله (سيري)، و(اقفزي)، و(لهيباً)، و(مشبوب اللهيب)، كلها مفردات ثورية. ويأتي من هذا الباب أيضاً تصويره لارتباطه بحب محبوبته- وأظنها زوجه – قيداً خالداً لا بد منه في قصيدة أسماها(القيد الخالد):

دَعِيني أعبرُ الأيامَ حُرًّا لقد أمسيتُ للأوهامِ عَبْدَا
فيا عجباً وما سالمتُ قَيداً فكيفَ رضيتُ من دُنياكِ قَيْدَا[21]

بل إنه حتى عندما يصف الخريف يصور قدومه إلى الدنيا كقدوم المناضل الثائر:

حَجَبَ السَّمَاءَ مُجَلْجِلاً مُتَوَاصِلاً إرْزَامُهُ
خَنَقَ الرِّيَاحَ جَنَاحُه وَأَدَ الضِّيَاءَ ظِلامُهُ
يَفْتَرُّ في أرْجَائِهِ لَهَبٌ يَشِبُّ ضِرَامُهُ[22]

ثم يقول:

جيشُ الطبيعةِ زاحِفٌ سَحَّاحُهُ وجَهَامُهُ[23]

فالخريف بنضرته، وخضرته، وخيره يبدو في نظر الشاعر هنا حجب للسماء، وخنق للريح، ووأد للضياء ، وجيش يزحف، وكلها صور قاتمة مفزعة.كما أن الحجب، والجلجلة والإرزام، والخنق، والوأد، واللهب والضرام، والجيش، والزحف، كلها مفردات تكثر في القاموس الثوري لدى الشعراء الآخرين.

3- تمجيده الثورة والثوار:

ومما يدل أيضاً على حبه للثورة أنه كثيراً ما يمجد الثورة والثائرين، فعندما امتدح رفقاءه الشعراء ومجدهم في قصيدته (عباد الجمال) ففوق إعجابه بحبهم الجمال، مجدهم بأن جعل منهم ثواراً في وجه الظلم والقيد والسجان:

حَطَّمُوا كلَّ قُيودِ البَشَرْ ومَشُوا كالضَّوءِ في الأرضِ اليَبَابْ
فَهُمْ حربٌ على السَّجَانِ أوْ مَنْ يصُوغُ القَيْدَ مِنْ خَلْفِ الحِجَابْ[24]

فكأن الشاعر يرى أن أهم وظيفة للشاعر في الحياة أن يكون ثائراً في وجه الطغاة وضد الظلم، والجهل، والتخلف، وكل قيود الحياة التي تكبله أو تكبل قومه. ومن هنا كان تمجيده للثوار أمثال علي عبد اللطيف الذي خصه بقصيدة (ذكرى علي) ومنها قوله:

حَيُّوا عليًّا في الخُلُود وبَدِّدُوا حُلَكَ الظَّلامِ بذِكْرِهِ السَيَّارِ

فهو الذي مَهَدَ الطَّرِيقَ لِشَعْبِهِ وأضَاءَهُ بالصَّـــــارِمِ البَتَّارِ
ماماتَ مَنْ كُتِبَتْ مَآثِرُهُ عَلَى سِفْرِ الخُلُودِ بأحْرُفٍ مِنْ نَارِ [25]

فالثورة في نظر أديبنا واحدة، كيفما كانت تعجبه، سواء كانت بالسلاح، أم اللسان، أم القلم، ولذا فعندما رثى صديقه الهادي العمرابي مجد فيه ثورته بقلمه في وجه البغاة الظالمين:

مُنَضَّرُ الأفْق وثَّابٌ أخُو قَلَمٍ في حُبِّ أُمَّتِهِ نَشْوانُ هَيْمانُ
يحمِي حِماها ويحيَا في مَشَاعِرِهَا ولا يُرَوِّعُه جَورٌ وطُغْيَانُ[26]

كما خص ثورة 21 أكتوبر وشهيدها القرشي بقصيدة عنوانها: (الشهيد وهبَّةُ الشعب) يقول عن القرشي:

يومَ أوْدَى انبعَثَتْ أُمَّتُهُ تَنْشُدُ العَلْياءَ والعيشَ الأجَلْ
أشْعَلَتْ مِنْ دَمِهِ مِصْبَاحَهَا سَاطِعَاً كالصَّحْوِ إذْ يَغْشَى المُقَلْ[27]

كما مجَد الزعيم إسماعيل الأزهري والزعيم محمد أحمد المحجوب في قصيدة(تحية لمؤتمر القمة):

الأزهريُّ الفذُّ قائدُنا الذي أمْسَى عَلَى كلِّ القُلوبِ مُصَوَّرَا
مَنْ صَالَ يَوْمَ البَأْسِ صَوْلَةَ ضَيْغَمٍ حَتَّى وهَى حِصْنُ العِدَا وتَكَسَّرَا [28]

ويقول في ذات القصيدة محيياً الزعيم محمد أحمد المحجوب:

محجوبُ، يا نسلَ الكرامِ فإنَّنِي لأراكَ رَوْضًا في بِلادِي مُثَمِّرَا [29]

ولأن أديبنا قد نشأ مفعماً بالثورة فقد أضحت الثورة عشقاً له، فهو يرى كل بلد تهب فيه الثورة بلداً له، فقد تجاوز إحساسه بها حدود وطنه السودان؛ ليقف معاضداً لها أينما هبت رياحها، فها هو يقف ممجداً لثورة لوممبا في الكنغو:

عَذَابُ لُومَمْبَا غذاءُ النِّضَالْ
وصوتُ لُومَمْبَا على سَمْعِ الشُّعُوبْ
مِثْلُ قَصْفِ الرِّيْحِ عَبْرِ الفَلَوَاتْ
مِنْ حُلوقِ الشُّرَفَاءِ
صوتُ لومَمْبَا نداءُ الشُّرَفَاءِ

لنْ يموتَ ... لنْ يموتْ
ظِلُّهُ في كلِّ عَينْ
صوتُهُ في كلِّ أذنْ[30]

ويحيي ثورة اليمن بقصيدة أسماها (العاصفة):

والصُّبْحُ تَنَفَّسَ سَاطِعُهُ في أرْضِ العزَّةِ في اليَمَنِ
سَلِمَتْ أحْرَارُكَ يا بَلَدِي سَلِمَتْ أحْرارُكَ يا وطَنِي[31]

ومن هذا المنزع جاءت قصيدته (إفريقيا الجديدة) تحية لكل ثورات التحرر التي انـدلعت فـي القارة الإفريقية، فكان محصلتها أن نالت كثير من البلدان استقلالها:

إفريقيَا طَوَتِ الظَّلامَ وَوَدَّعَتْ حِقَبَاً عِجَافًا لا تَعِي لا تَنْطِقُ[32]

وفي مقابل تمجيده للثورة والثائرين فهو يذم المتخاذلين والمخذِّلين عن الثورة ويتوعدهم:

فَوَيلٌ عَلَى مَــنْ لا يَزَالُ يَعِيــ ــشُ علَى مَا حَوَتْ حِقَبٌ ذَاهِلَهُ
يَهَابُ النِّضَـــالَ وأهْـــوَالَه وَيَحْفِلُ بالفــكرةِ الجَاهِـــــله[33]

كما أنه كان من المحرضين على الثورة في شعره كما في قوله محرضـاً إخوانــه السـودانيين ومذكراً لهم بما فعله المستعمر بأهلهم في موقعة(كرري):

جبَنْتُم وأنكرتُمْ فأَثْبَتَ زَهْوُكم على الذُّلِّ أخلاقَ الجبانِ كَمَا هِيَا
علَى الجَبَلِ المحزُونِ هاماتُ أهْلِكُم تُنَادِي ولا تلقَى لها الدهرَ سَاقِيَا[34]

4- ثورته الوطنية:

تجلت وطنية محمد محمد علي في عدة مظاهر في سيرته الذاتية، منها بحثـه في الماجستير الذي اختار له عنوان (الشعر السوداني في المعارك السياسية 1821م-1924م) وقد كان يعد العدة لمواصلة الدراسة والتحضير للدكتوراه مواصلاً البحث في ذات الموضوع (الشعر السوداني في المعارك السياسية 1924م- 1956م). لولا أن تخطفته يد المنون، وقـد أوضح الهدف من رسالته في الماجستير: "**ولم استطع بحال من الأحوال أن أتوانى في كشف القناع عن وجه الاستعمار البريطاني، لا لكراهيتي للاستعمار وحدها ولا لما ألحقه بنا من أذى وعنت وإرهاق، بل لجلاء الحقيقة التي تعامى عنها بعض السياسـيين وبعـض المـؤرخين**

وشرذمة ضئيلة من الشعراء، فنسبوا للاستعمار البريطاني في بلادنا فضلاً يستحق عليه الثناء!!.[35]

ولعل أبرز مظاهر الوطنية ما دونه شعراً في ديوانيه، فقد كثرت القصائد الوطنية فيهما بصورة واضحة، ومنها في ديوانه الأول (ألحان وأشجان) قصيدة القافلة، [36] العَلَم،[37] وبلادي تسير،[38] ويوم الجلاء،[39] ذكرى علي،[40] أشجان،[41] عتاب النيل،[42] وفي ديوانه الثاني (ظلال شاردة): الشهيد وهبَّة الشعب،[43] وإفريقيا الجديدة،[44] العاصفة،[45] تحية ثورة،[46] تحية مؤتمر العروبة،[47] العاصفة،[48] إشراقة العيد.[49]

فقد عاش يحمل هموم الوطن في قلبه وعقله وإحساسه، مما جعله قلقًا مهمومًا كئيبًا في كل أوقاته كما عبر عن ذلك في قصيدته (أشجان)، ولأهمية هذه القصيدة فقد جعل عنوانها يمثل نصف عنوان ديوانه الأول (ألحان وأشجان) وما تلك الأشجان التي يحملها الشاعر إلا جراء إحساسه بما عليه حال وطنه وفيها يقول:

بلادي في قاعِ الجحيمِ ومهْجَتِي   وهلْ أنا إلا مُهْجَتي وبلادِيا
دعُونِي دعُونِي أندُبُ الحظَّ إنني   أرَى البَثَّ عمَّا يَكْرُبُ النَّفْسَ شَافِيا

ثم يقول:

إذا كُنْتُ في أرْضِي أعيشُ مُشَرَّدًا   أسِيفًا كئيبَ النفسِ أسْيَانَ بَاكِيا

فَسَيَّانَ عِنْدِي باتَ رَحْلِي برَوْضَةٍ أمْ اعْتَسَفَتْ رِجْلِي الفَلا والفَيافِيا(50)

ومن مظاهر الوطنية في شعره إقحام موضوع الوطنية في كل قصائد المناسبات كقصيدته (رفاعة) :

يا جُنودَ البلادِ، يا ثورةَ النيلِ غَضُوبًا في عَاصِفٍ غَضْبَانِ(51)

ثم يقول مناجياً أهل رفاعة وأهله في عامة السودان:

أيْقِظُوا أعْيُنًا أحَاطَ بِها الليـــ ـــلُ فنامَتْ في عَالَمٍ يَقَظَانِ

حَرِّرُوا أنفسَ الضِّعَافِ من الخو فِ فإنَّ الحياةَ للشُّـــــجْعَانِ

قصيدته (القافلة) لم تكن القافلة التي يريدها سوى قافلة الثورة والتحرر كما عبر عن ذلك:

نَسِيرُ سِرَاعًا معَ القَافِلَةْ إلى جنَّةٍ بالمُنَى حَافِلَةْ

ثم يقول:

وثارتْ بِنَا عزْمَةٌ لا تَلِينْ فَطِرْنَا سِرَاعًا معَ القَافِلهْ(52)

كما تجلت وطنيته أيضاً في إظهار فرحته بخروج أول وفد سوداني سياسي بقضية السودان خارج حدود الوطن 1946م في قصيدته (لا قيد بعد اليوم) إذ يقول مخاطباً ذلك الوفد:

سِرْ في سبيلِ المَجْدِ خَلْفَكَ أُمَّةٌ كالنَّارِ تَزْأرُ في صباحٍ عَاصِفِ

هَبَّتْ ودوَّى صَوْتُها فَتَخَاذَلَتْ حِجَجُ المِرَاءِ وكلُّ قَوْلٍ زَائفِ(53)

وفيها يقول محرضاً على الثورة ومتطلعاً إلى الحرية :

خمسُونَ عَاماً في الهَوَانِ أمَا كَفَى خمسونَ سُودٌ ما لَها منْ كَاشِفِ

لا قَيْدَ بعدَ اليومِ بلْ حُـــــــرِّيَّةٌ تَهَبُ الحياةَ لكلِّ عانٍ رَاسِفَ(54)

ومن الغريب أن قصيدته الموسومة بـــ (عتاب النيل) قد يظن القارئ كما يوحي عنوانها أنها قصيدة في وصف الطبيعة، أو عتاب للنيل بسبب إلحاقه أذى بالشاعر أو بأهله ، ولكنها جاءت في معظمها ثورة وطنية، يشكو فيها الشاعر عناء أهله وضنكهم، وضيق عيشهم بالرغم من قربهم منه وهو مضرب المثل في الكرم، ثم يأتي باقي القصيدة تمجيداً للثوار الذين ثاروا في وادي النيل وحموا أرضه من الغاصب والمستعمر، إذ يقول مناجياً النيل:

حميناكَ بالأرْوَاحِ مِنْ كُــلِّ غاصِبٍ وطَهَّرَ شَطَّيْــكَ الأُبَاةُ البَوَاسِلُ

أغارُوا على التُّرْكِ الجُفَاةِ بِضَيْغَمٍ من الشُّـــعْثِ نابَاهُ القَنَا والمَنَاصِلُ

تَرَامُوا علَى (شَيْكَانَ) وهْيَ مَدَافِعٌ يضِيقُ بِها رحْبُ الفَضَا وجَحَافِلُ (55)

أما موقفه من قضية وحدة السودان شماليه وجنوبيه؛ فقد كان يؤلمه أن يرى أبناء جنوبي السودان منساقين في الخط الذي اختطه لهم المستعمر من أجل تفتيت وحدة السودان، وإشعال نار الفتنة بين شطريه، ففي قصيدة(رفاعة) يدعو لوحدة السودان رغم كيد الماكرين والساعين إلى تفتيته:

كلُّ هذا السودانِ أهْلِي ودَارِي   كلُّ شِـبْرٍ في جَانِبِيهِ مَكَانِي
في رُبوعِ الجنـــوبِ أبناءُ أُمِّي   مِنْ قديمِ العُهُـــودِ والأزْمَانِ
نحنُ منهمْ وإنْ طالَ أخو اللَّغْـ   ـوِ وعاثَتْ أناملُ الطُّغْيَانِ(56)

وفي قصيدة أخرى يخاطب إخوانه في جنوبي السودان، ويعتب عليهم لانقيادهم وراء المستعمر الذي كان سبباً في إشعال نار ا الفتنة التي أودوا فيها بـإخوانهم الشماليين، فيقول ذاماً للمستعمر:

صاغَ منكمْ كَوَاسِرًا   تأكُلُ الأهْلَ والصَّدِيقْ
إنَّنَا أُخْـــوَةٌ فلا   (مَنْدَكُورُو) ولا رَقِيقْ(57)

ولعل هذا الموقف من الجنوبيين قد أرق الشاعر كثيراً ففي قصيدته (هموم وعزم) عرض له مرة أخرى، إذ يقول متحسراً وعاتباً على المستعمر الذي زرع بذور الفتنة، وحرض الجنوبيين فأسالوا دماء إخوانهم الشماليين بالجنوب وقتلوهم:

وأوْحُوا إلى إخوةٍ في الجَنُوبِ   بأنَّا عُـدَاةٌ بهــمْ مَاكِرُونْ
وأنّا أردْنَا لهمْ أن يَعِيشُـوا   عَبِيدًا ضِـعَافاً لنا خَاضِعُونْ
وليسَ لهمْ نَسَـبٌ في الشَّمالِ   يُقَرِّبُـهمْ أو لسانٌ ودينْ
وزادُوا فأذْكُوا شهابَ المُرُوقِ   وبَثُّوا الشَّـرَارَ بكُلِّ كَمِينْ
فسالتْ دِمَاءٌ وطَاحتْ رؤوسْ   وأظلمَ صُبْحٌ وفَاضَتْ شُئُونْ(58)

5- ثورته على الزعامات السياسية والطائفية والدينية:

لعله مما خطط له المستعمر– حرصاً على ديمومة مصالحه بالسودان قبل خروجه وبعده – أن تكون للطائفية والزعامات الدينية سلطة ونفوذ على الشعب، ولذا سارع إلى التصالح معها، وتقويتها بالجاه والمال والنفوذ في عهد استعماره للسودان، لكي تكون عوناً له في الحكم، ثم تابعة له بعد خروجه من السودان، ولذا كانت مواقفها موافقة للمستعمر في معظم الأحيان، ومعينة له على بسط نفوذه، حتى هبت ثورة 1924م فكانت بداية لتمرد طبقة المثقفين

على الطائفية، وأوضح ما يعبر عن تمردهم على الزعامات التقليدية في السودان القصيدة التي نظمها آنذاك عبد الله محمد عمر البنا (في تحية العام الهجري 1339هـ). والتي مطلعها[59]:

يا ذا الهلالُ عنِ الدُّنيا أو الدينِ حَدِّثْ فإنَّ حديثًا منكَ يَشْفِيني[60]

وقد عد محمد المكي إبراهيم هذه القصيدة كما يقول:" النقطة التي بدأ منها الهجوم على معاقل الإقطاع، وانتزاع السلطة القيادية من يديها وتسليمها للطبقة الوسطى بمتعلميها." [61]وفيها يقول البنا ساخراً من بعض الشخصيات الطائفية والدينية والسياسية المرموقة في السودان:

والناسُ في القُطرِ أشياءٌ مُلَفَّقَةٌ فإنْ تَكَشَّفْ فَعَنْ ضَعْفٍ وعَنْ هُونِ
فَمِنْ غَنِيٍّ فقـيرٍ في مُرُوءتِهِ ومِنْ قَوِيٍّ بضعفِ النَّفْسِ مَرْهُونِ
ومِنْ طليقٍ حبيسِ الرَّأيِ مُنْقَبِضٍ فَاعْجَبْ لمُنطلِقٍ في الأرضِ مَسْجُونِ
وآخرُ هو طَوعُ البَطْنِ يَبْرُزُ في زِيِّ المُلُوكِ وأخْـلاقِ البَرَاذِينِ
وهَيكَلٍ تَبِعتْهُ الناسُ عنْ سَـرَفٍ كالسَّـامِرِيِّ بلا عَقْلٍ ولا دِينِ
يحـتالُ بالدينِ للدنيا فَيَجْمَعُها سُـحْتًا وتُورِدُهُ في قَاعِ سِجِّينِ[62]

ثم تتالت الهجمات الشعرية على الطائفية في السودان فها هو صالح عبد القادر يرمي بسهمه في هذه المعركة قائلاً:

ألا يا هندُ قُولي أوْ أجيزِي رجالُ الشَّرْقِ أضْحُوا كالمَعِيزِ
ألا ليتَ اللِّحَى كانتْ حَشِيشًا فَتَعْلَفُـها خيولُ الإنجليزِ[63]

ورُوي أن البطل علي عبد اللطيف أحد قواد ثورة 1924م كان معجباً بهذين البيتين وقد علقهما على صدر مجلسه، وممن رمى بسهمه أيضاً في تلك المعركة الشاعر مدثر البوشي:

يُقَالُ رِجَالٌ، لا ورَبِّكَ، إنَّهُمْ جديرُونَ حقًّا أنْ يُقَالَ الفَوَاطِمُ
نفوسٌ أبتْ فعْلَ الجميلِ لأهلِها وأيدٍ إلى الأعْدَاءِ نِعْمَ اللَّهَازِمُ
فمَا رَوَّعَ العلياءَ إلا عَمائـمٌ تُسَاوِمُ فينَا وهْيَ فِينا سَوَائـمُ[64]

ومما زاد الطين بِلَّةً أنه عندما ظهرت بوادر الاستقلال أن بعض المثقفين الذين ناهضوا المستعمر، وكان لهم الفضل في تخليص البلاد من قبضته، لم تكن لهم قواعد شعبية أو أحزاب سياسية قوية تسندهم،ويكون في مقدورها أن تنافس الأحزاب الطائفية التي كثر أتباعها سنوات الاستعمار، فربما حرصاً من هؤلاء القادة المثقفين على مصلحة البلاد، وليقينهم من عجز الطائفية وحدها عن تسيير عجلة السيادة والسلطة فيها، لقلة المؤهلين من أتباعها، ويقينهم

أيضاً أنه لا سبيل إلى الوصول إلى مراقي الحكم والسيادة آنذاك إلا عبر بوابة الطائفية، وجد هؤلاء المثقفون أنفسهم في موقف حرج حتم عليهم مصالحة الطائفية، والانضواء تحت عباءتها، وفي المقابل كان الزعماء الطائفيون أيضاً هم في أشد الحاجة لهؤلاء المثقفين؛ ليقينهم أنهم وحدهم لا يقدرون على تسيير الأمور السياسية في هذه المرحلة، فقاموا بدورهم باستمالتهم، وهكذا فقد (وافق شن طبقة)، فكان رد الفعل لهذه الموافقة أن ازدادت الكراهية في نفوس كثير من المثقفين للطائفية ولمن تدثر بعباءتها من زملائهم السياسيين المثقفين، فها هو أحمد خير المحامي من أبرز رواد الحركة الوطنية في السودان، ومن كبار المثقفين الذين ناهضوا الاستعمار، لم يعجبه هذا الموقف الذي رآه غريباً ورِدَّة من زملائه المثقفين المناضلين، فيقول متحسراً ومتعجباً :"**هل كان الخريجون وحولهم الشعراء المعروفون في مناهضتهم للصوفية في السودان، مدفوعين بغريزة المنافسة لانتزاع القيادة من الزعماء الذين كانوا في دخيلة أنفسهم يثيرونها حرباً طبقية سرعان ما انسحبوا منها، وتنكروا لمبادئهم وزملائهم عندما مدت إليهم الصوفية يدها، وارتبطت مصالح زعمائهم معها، شأنهم في ذلك شأن كل الانتهازيين في كل زمان ومكان؟! بدأ الواحد حياته مكافحاً في سبيل الحرية والمثل العليا؛ حتى إذا أرضى طموحه الشخصي، واستجيبت مطالبه الذاتية انخرط في صفوف المؤيدين، وتهاون مع خصوم مبادئه، وانتهى به الأمر أخيراً إلى الجلوس في كرسي وثير في صفوف الهيئة الحاكمة، يسبق اسمَه لقبُه.**" (65)

ولعل شاعرنا محمد محمد علي لم يكن وحده الذي خاض غمار هذه المعركة ضد الطائفية، فقد وقف بجانبه جماعة من شعراء ذلك الجيل ومنهم، صالح عبد القادر، ومدثر البوشي، وعبيد عبد النور، وحسين منصور، وغيرهم، ويقول الأستاذ محمد الواثق عن شعراء هذا الجيل: " **يجمع بينهم هو تمردهم على الجيل السابق، يسخرون من ساسته وأحزابه وأفكاره، ومن الطائفية التي اعتلقها ساسته على وجه أخص**".(66) ويقول أيضاً: "**المتأمل في أشعار هذا الجيل تصفعه فكرة مفهوم الاستقلال، الذي هو غنائم استلبتها الطائفية ومن أوجف في ركابها من الساسة، أما هم فقد خرجوا منها صفر اليدين**".(67) ومن هنا ازدادت كراهية محمد محمد علي للطائفية والسياسيين، شأنه في ذلك شأن كل المثقفين الأحرار، فكانت ثورته المحتدمة عليهم في شعره، فكلاهما في نظره وجهان لعملة واحدة، فكثر هجاؤه لهما، ومن ذلك قوله فيهما :

ومِنْ سَاسَةٍ باتُوا يقودُونَ أُمَّـةً أرَتْـهَا تهاوِيلَ الزَّمَـانَ نَوَائِبُهْ
أصابُوا مِنَ النَّجْدَينِ أعْوَجَ طامِسًا وجافَاهُمُ سَهْلُ الطَّرِيق وَلاحِبُهْ

ومِنْ طَائفِيٍّ مُظْلِمِ الفِكْــرِ مُوثَقٍ   بِوَهْمٍ يُجَافِيهِ الهُــــدَى وَيُجَانِبُهْ(68)

وقد يفرد هجاءه لأحدهما كما في قصيدته (يوم الجلاء) ذاماً الطائفية وداعيًا إلى الثورة عليها، ومسبغًا عليها أقبح الصفات، فهي رعناء، وفاجرة الهوى، وكدراء، وآسنة الشراب، إذ يقــول مناجياً الثورة التي أطاحت بالمستعمر:

والطَّائفِيَّةُ نَجْــمُها المَشْــئومُ قَدْ ولَّى وغَابْ

ثُورِي عليْهَا وانْبُذِيها فَهْيَ نَاصِلَةُ الخِضَابْ

رَعْنَاءُ فَاجِرَةُ الهَوَى كَدْرَاءُ آسِنَةُ الشَّرَابْ(69)

وتدفعه شدة كراهيته للطائفية إلى تمجيد ثورة مايو العسكرية التي أطاحت بحكم الطائفية في السودان؛ فهو يرى فيها إقصاء للطائفيين ومن ساندهم من السياسيين الذين بددوا حلم الشعب في ثورة أكتوبر، يقول في قصيدته (تحية ثورة):

وطِئتْ أُنُوفُ الحاكِمِينَ بلا ضَمِيرٍ أوْ إصَابَهْ

مَنْ هَوَّنُوا الوطنَ العزيزَ وأدْمَنُوا مِنْهُ احْتِلابَهْ

وَتَخَوَّنُوا أكْتُوبَرَ المَرْمُــوقَ وامْتَهَنُوا جَنَابَهْ(70)

ويقول مبدياً بغضه للطائفية، ويزعم أنها قد تكشفت حقيقتها المستورة أمام عينيه، فإذا هي في شرها وغدرها كالثعبان الأرقط، وقد شربت دمه بنهم وأكلت وطابه :

والطائفيةُ قدْ بَدَتْ وَخَبِيئُها هَتَكَتْ حِجَابَهْ

فإذا بِها غَدَّارَةٌ كالأرَقَــطِ المُلْقَي إهَابَهْ

وإذا بِهَا مَنْهُومَةٌ شَرِبَتْ دَمِي أَكَلَتْ وطَابَهْ

ويسميهم في قصيدة أخرى بدعاة الضلال ويصفهم بالتخذيل عندما ثار القوم في وجه المستعمر:

دعاةُ الضلالِ وأشياعُهــم زبانيةٌ من مَهَاوِي سَـــــقَرْ

يُريدونَ منَّا خنــوعَ الذليلِ   ونجوَى المحبِّ وخفْضِ البَصَرْ(71)

ولترعرع الطائفية السودانية في حضن الدين وارتباطها به، إذ إن زعماء الطائفية فــي السودان من بيوت لها نفوذ ديني، استغلته في بناء نفوذها السياسي، شملت ثورة الشاعر أيضاً الزعامات الدينية تلك، متهماً لهم باستغلالهم الدين لأجل تسخيرهم النــاس لخــدمتهم، وأكــل أموالهم بالباطل، ويصفهم بأنهم أبعد ما يكونون عن الدين كما يقول في قصيدة (القافلة) يريــد قافلة التحرر والتقدم:

وويلٌ لمنْ خَلَّفَتْهــمْ لدينا   عُهودٌ من الأَعْصُرِ الزَّائلَهْ

صُخُــورٌ، ولكنْ لأرزاقِنا وأرزاق أبنـــائنا آكِلَهْ
كسَتْهَا الخرافةُ ثوبَ التُّقَى فَخَفَّتْ بِهَا الرَّوْعَةُ البَاطِلَهْ
وأبعَدَها عنْ نقاءِ التُّقَــاةِ وعنْ زُهْدِهِمْ حبُّها العَاجِلهْ[72]

ويقول واصفاً أحد الزعماء الدينيين الذين سخروا أتباعهم من عامة الناس لخدمتهم، والاسترزاق من عرقهم، وفي المقابل يترفعون عنهم، مع أنه لا نصيب له في الديانة :

يقتاتُ من أرزاقِنا ويسوقُنا للمُهْلِكَاتِ السُّودِ سَوْقَ خِرَافِ
هو عالةٌ.. أعجِبْ بِهِ مُتَرَفِّعًا عَنْ عائليهِ السَّـادةِ الأشْرَافِ
باسمِ الدِّيَانَةِ تَنْحَنِي لِجــلالهِ ونصيبُهُ مِنْهَا نصِيبُ خرافِي[73]

6- ثورته على الواقع المعيش:

لم يكن محمد محمد علي بمعزل عن الواقع المعيش لأبناء وطنه، إذ لم يكن مشرفاً ومرضياً له، فقد كان ذلك الواقع يعاني من علات عدة، منها الفقر المدقع، والتخلف العلمي والحضاري الضارب بأطنابه في وطنه، وكذلك بعض العادات الاجتماعية السيئة في مجتمعه، ولذا ثارت ثائرة الشاعر على هذه العلات المؤرقة له، فوظف لها جزءًا من شعره، كما يقول مصوراً معاناة أهله من الفقر أيام المستعمر في قصيدته (يوم الجلاء):

يَبِسَــتْ معالمُنَا وما زِلْنَا بأوْدِيَةِ الشَّبَابْ
نَهْوَى الطعامَ تَعِفُّ عن أمثالِهِ بعْضُ الكِلابْ
ذُرَةٌ كلونِ الطِّينِ خَيْــ ـــر إدَامِها مِلْحٌ مُذَابْ
أمَّا الثِّيَابُ فإنَّـــها خِرَقٌ وللكَفَنِ الثِّيَابْ
والنارُ وَهْيَ النارُ نَسْــ ـــألُها ونَفْرَحُ إذْ نُجَابْ
فيظلُّ بينَ بيوتِــــنا كالنَّجْمِ يَنْتَقِلُ الشِّهَابْ[74]

وفي قصيدته (من الحقل) يصور الشاعر فقر أهله الذين لا أثاث لهم غير التراب فــي كــوخهم الخالي المظلم، وهم بداخله يتحركون كأنهم الأشباح:

حقولُنا خَرَابْ
وكُوخُنَا يَبَابْ
أثَاثُه التُّرَابْ
ونحنُ في ظَلامِهِ نَهِيمُ كالأشْبَاحِ
أظلَّنَا الجَرَادْ
ونحنُ حالِمونَ في الصباحِ بالحصَادْ [75]

ويبدو في قصيدته (الجفاف) تصوير حقيقي لمعاناة الإنسان السوداني، وافتقاره لأدنى مقومات الحياة من الطعام، وذلك بسبب الجفاف الذي ضرب بقاعاً شتى في السودان فاضطر أهلها للرحيل عنها بحثاً عما يسد رمقهم:

ونسألُ الشُّقُوقَ عَنْ أنامِلِ الخَرِيفْ
وإنْ تَبَدَّتْ قريةٌ تَبَدَّتِ الأطْلالْ
سُكَّانُها قَدْ هَاجَرُوا وطَيْرُهَا هَجَرْ
وديْكُها مَا عَادَ يَحْدُو غُرَّةَ الصَّبَاحْ
نظلُّ سائرينْ..
نظلُّ سائرينْ ..
شرابُنا الضَّجَرْ
أبصارُنَا مَشْدُودَةٌ إلى مسَاقِطِ المَطَرْ. (76)

وفوق إحساس الشاعر بمعاناة أهله من الفقر، فإن له وقفة خاصة مع الفقر ، بحكم اشتغاله بمهنة التدريس التي كان عائدها ضئيلاً آنذاك، فقد دونها في قصيدته (ثواب المعلم) إذ قال مستغيثاً:

يا ربِّ أنقذْنَا من التدريسِ
ورِزْقِــه المصــرَّدِ الخَسيسِ

وفيها يقول:

رَغَائِبي أشَـــابَهَا عُبُوسِي
وحاجَتي أرْبَتْ عَلَى فُلُوسِي
وفي دَمِي معاركُ البَسُوس(77)

وفي قصيدة أخرى يثور في وجه الساسة لانصرافهم عن هموم شعبهم البائس الفقير، فيقول متحدثاً بلسان قومه مصوراً بؤسهم:

لا نَبْتَغِي إسعادَ شعبٍ بائسٍ   عارٍ مريضٍ ذي خَصَاصةِ حَافي
يرجُو الكَفَافَ عُلالةً مِنْ حَظِّه   فيعودُ مُنْقَلِبـــاً بغيرِ كَفَافِ
لا نبتغي إسعادَ شعبٍ بائسٍ   يبستْ معالمُهُ مِنَ الإجْحَافِ(78)

أما ثورته ضد التخلف العلمي والحضاري ففي قصيدة (أنا لا أحيي العيد) يرفع صوته عالياً ثائراً على التخلف، ولذا فهو يعلنها بأنه لن يقف ليحيي الاحتفـال بـرأس السـنة الهجرية مع إخوانه الشعراء – مع أنه قد حياه في قصائد أخرى– ما لم ير وادي النيل في قمة

التحضر والتحرر من قيود التخلف والجهل، وكان من عادة الشعراء أن يحيوا عيد رأس السنة الهجرية كل عام بقصائدهم، وفيها يبكون ماضي أمتهم ومجدهم التليد:

لا فخرَ في الماضي لشعبٍ لم يزَلْ   يرضَى مِنَ الدنيا بلفظٍ رائقِ
لا فخرَ إنْ لم تُطْلِعُوا تَارِيخُكم   شَمْساً يُطِلُّ ضياؤها مِنْ حَالِقِ
أنا لا أُحَيِّي العيدَ ما لم أَلْقَــهُ   وجميعُ وادي النيلِ ذُرْوَةَ شَاهِقِ (79)

ومن مظاهر التخلف التي ثار ضدها الشاعر تخلف قومه في الميـدان الطبـي، إذ يكتفي كثير منهم بالذهاب إلى المتشعوذين والدجالين؛ ملتمسين لديهم الشفاء من كل ما يصيبهم من أمراض مقابل أموال يدفعونها لهم، ومستكينين لزعمهم بأن الله قد آثرهم باستجابة الدعوة :

وأُساتُنَا قـــومٌ بَضَـــا   عتُهم من الطبِّ الكِذَابْ
متلثِّمُونَ على الخَـــنَا   صُفْرُ الوجوهِ من الحِجَابْ
زعَمُـــــوا بأنَّ اللهَ آ   ثَرَهُم بدعـواتٍ تُجَابْ
كمْ أفْسَـدُوا مِنْ صَالِحٍ   وجَنَـوا عَلَى خُودٍ كَعَابْ
يتهافتُـونَ علَى الحُـطَا   مِ كفعلِ أسْـرَابِ الذُّبَابْ
حَـقًّا همُ (الفُقَرَاءُ)، للـ   ـخُلْقِ الكريمِ وللصَّوابْ(80)

ومن القصائد التي تتجلى فيها ثورته على التخلف الفكري أيضاً قصيدة (غار ثور)، فمع أن هذه القصيدة من القصائد ذات الطابع الديني في ديوانه، وقد ذكر فيها تعبد النبي صلى الله عليه وسلم في غار ثور، ونزول الوحي عليه هناك، إلا أنه مال بها إلى ما يهجس بنفسـه، فهو يرى في ذلك الحدث العظيم ثورة فكرية وسياسية معاً، فيقول ممجداً للوحي:

خَضَعَتْ جَبَابِرَةُ الزَّمَـــا   نُ لِحُكْمِـــهِ طَوْعَاً وقَهْرًا
وأذَابَ قَيْـدَ الفِكْـرِ فاقْـ   ـتَحَمَ السُّدُودَ وَجَالَ حُرًّا (81)

ومما يحزنه أن يرى أمته لا تزال تعيش في صروح الظنون والأوهام، وهم لا يحققون منها شيئاً لعجزهم، واستكانتهم كما يقول في قصيدته (أسكب اللحن) :

كلُّ يومٍ نطُوفُ حـولَ جَديدٍ   مِنْ صُرُوحِ الظُّنُونِ والأوْهَامِ
نسْبِقُ النَّجْمَ والصَّبَاحَ إلى الضُو   ءِ وما زالَ رَكْبُنا في الظلامِ(82)

ومما ثار الشاعر ضده في واقعه المعيش بعض التقاليد والعادات الاجتماعية السيئة، ومنها إنزال المرأة منزلة دنيا في المجتمع، إذ رأوا في تعليمها شراً، فقد أرادوا لها أن تقيم في أحصـان

الجهل، وأن تكون أداة للمتعة، كسولاً مصبوغة بدخان الطلح، ولذا فهو يشـيد بأهـل رفاعـة لمبادرتهم بتعليم المرأة واهتمامهم بتحررها من تلك العادات:

هَيَّأتْ للفتـــاةِ وَثْـبَةَ خَيْرٍ في زَمَانٍ أتْعَسِ الأزْمَـــانِ
يَحْسَبُ النَّاسُ فيهِ أنَّ مِنَ الشَّـ ـرِّ ونَبْذِ الأخْلَاق والأدْيَانِ
أنْ تَعُبَّ الفَتَاةُ مِنْ كَوْثَرِ العِلْـ ـمِ وتَنْأى عن خِدْرِهَا الوَسْنَانِ
أضْـعَفُوها وللمَتَاعِ أرَادُوها كَسُولاً مَصْـبُوغَةً بِدُخَانِ[83]

7- ثورته على الأوضاع في المعهد العلمي:

قال المجذوب: "**لقد ظهرت في المعهد فئة قليلة خرجت على الهدوء القديم فرميت بالإلحاد والزندقة، وصال عليها المحافظون تقريعاً ونبذاً. لقد كانت هذه الفئة المنبوذة تحمل إلى المعهد أوراقاً لا علم فيها من قرآنٍ أو حديثٍ، واكتشف المحافظون الغُيَّر أن هذه الأوراق هي الجرائد ولذلك سموا أصحابها المضيق عليهم (ناس الجرايد) إنكاراً وسخطا.**[84]

ولعل شاعرنا قد كان من ناس الجرايد، الذين حملهم أهلوهم حمـلاً علـى الالتحـاق بالمعهد العلمي بأمدرمان، فربما أحس بأن التحاقه به لم يحقق له طموحه الذي كان يصبو إليه من الاستنارة بالعلم، والتحرر من قيود الجهل، ولذا نظم قصيدته (ثورة)، فهي لم تكن ثـورة سياسية أو وطنية كما يوحي اسمها، وإنما هي ثورة ضد المعهد وشيوخه ونظمه ومناهجـه، ولذا وقف مودعاً طيوف هنائه عند بوابة المعهد:

طُيوفُ الهناءِ عليكِ السَّلامْ لقدْ حانَ دونَ اللِقَاءِ الزِّحَامْ
زِحَامُ (المتُونِ) كجيشِ الجرادِ أتَى يَسْتَرِدُ صنيعَ الغَـمامْ[85]

وفيها يقول صارخاً ومتحسراً على إفناء شبابه وإضاعته دون جدوى في المعهد، وعلـى عـدم تحقيق رغباته في الحياة:

أأفْنِي شبابي وأجْفُو رِغَابِي أجُوبُ الفَلاةَ وأجْنِي الحُطَامْ؟[86]

ولعل طريقة التعليم المتبعة في المعهد كانت وراء كراهيته لعلوم العربية وكذلك العلوم الإسلامية إذ يقول:

كرهْتُ جُلُوسِي أمامَ الشيوخِ أودِّعُ عَامًا وأسْلُكُ عامْ
كَرِهْتُ المجازَ ولغْـوَ النُّحَاةِ وسُخْفَ الفَقِيهِ وعِلْمَ الكَلامْ[87]

ثم قادته كراهيته للمعهد وشيوخه وعلومه إلى الزهد في الوظائف التي يتأهل لها طلاب المعهد، إذ يكون منهم الأئمة والقضاة وهما من أصحاب المنزلة الرفيعة في مجتمعه:

وفيمَ العَنَاءُ وهذَا البلاءُ وقَرْعُ الصَّفَاةِ وطُولُ السَّقَامْ؟

وما شَاقَ نَفْسِي وَقَارُ الفَقِيهِ ولا أنْ أُرَى قَاضِياً أو إمَامْ[88]

8- ثورته على التعاليم الدينية:

ذكر بروفسور عون الشريف أن أديبنا محمد محمد علي قد نشأ في أسرة عريقة في التدين.[89] ولذا فمن المتوقع أن يعبر شاعرنا في شعره عن التزامه الديني، ولا أحسبه إلا ملتزمًا، ولكن من الغريب أنه في بعض قصائده يفك قيده، وينطلق مع قافلة إخوانه الشعراء المتمردين بطبعهم على كل قيد في حياتهم، يحول دون الوصول إلى عوالمهم التي يهفون إليها، فهو كما قال عنهم في قصيدته (عباد الجمال):

إنـهم قومٌ حَيَارَى مُهْتَدُونْ عَشِقُوا الوَهْمَ وضَاقُوا باليقِينْ[90]

ثم قال:

إنـهم قومٌ سُكَارَى هائمونْ لا يُبَالُونَ بلومِ اللائمينْ[91]

ثم قال:

إنـهم قومٌ طِرَابٌ شاعرُونْ لهمُ دينٌ وللعَالَمِ دِينْ[92]

فالشعراء-كما شهد شاهد من أهلهم- عشقوا الوهم، وضاقوا باليقين، ولا يبالون بلوم اللائمين، ولهم دين وللعالم دين، وكما قال الأصمعي:" **الشعرُ نكِدٌ بابه الشر، فإذا دخل في الخير ضعف**".[93] وبذلك استدل على أن شعر حسان في الجاهلية أقوى من شعره في الإسلام، فالشعراء بطبيعتهم يحبون الحياة بغير قيود، وكثيراً ما يتمردون وهم في سن مبكرة من شبابهم على قيود المجتمع وأعرافه، وعلى التعاليم الدينية، ثم إن منهم من يتمادى في غيه، ومنهم من يثوب إلى رشده كأديبنا الذي لم يكن تمرده على تعاليم الدين تمرداً صارخاً إلا في قصيدة واحدة، هي قصيدة (حُجَّة وحُجَّة) وقد نظمها عام 1943م أيام دراسته في المعهد العلمي بأمدرمان، وقد كانت تلك الفترة من حياة الشاعر أشد قتامة وسوداوية، كما عبر عن ذلك في قصيدته السابقة (ثورة). فلعل هذه القصيدة الثانية كانت امتداداً لثورته الأولى، وربما كان لتزمت الشيوخ في المعهد العلمي، وتخلفهم، وضيق أفقهم، وتضييقهم على الطلاب دافع قوي

لأن يبوح الشاعر بهذه القصيدة التي استباح فيها بعض المحرمات كالحشيشة وشرب الخمـــر، ودعا فيها إلى التمتع بالدنيا بغير حدود ولا موانع، وأنكر فيها حقيقة الجزاء وما بعد القبـــر، كما يقول:

ما ضَرَّ مَنْ صَرَعَتْ قُوَاهُ حَشِيشَةٌ أوْ قَرْقَفُ
أوْ هَامَ في وادِي الجُنُونِ مع الخَيَال يُطَوِّفُ[94]

وفيها يقول:

خُذْ ما وجَدْتَ فلا يَصُدُّكَ عن مَتَاعِكَ مُرْجِفُ
ما في القُبُورِ ولا ورَاءَ القبرِ كأسٌ تُرْشَــفُ
ودعِ الذي يهوَى الشقَاءَ إلى الشقاوةِ يزحَفُ
يَزْوَرُّ عَنْ بنْتِ الكُرُومِ لزهْــــرةٍ لا تُقْطَفُ
فالنورُ والظلماتُ قولٌ في الحقــــيقةِ أجْوَفُ
ما الرُّوحُ ما الشَّيطانُ باتَ إلى المآثِمِ يَجْــرِفُ
هلْ أنْتَ بالأوْهَامِ لَجُّتْ في الخَفَــاءِ مُكَلَّفُ؟![95]

وربما كان دافع الشاعر إلى نظم هذه القصيدة بجانب تزمت الشيوخ في المعهد العلمي، ثورة الشك التي كانت تجتاح بعض طلابه النابهين ممن يطلعون على كتب الفلاســفة والمتكلمين في سن مبكرة فيغوصون في لجها بدون ربان يرشدهم إلى سواء السبيل؛ فيضلونه، كما حدث من قبل للشاعر التيجاني يوسف بشير الذي ربما يكون شاعرنا قد تأثر به في شكه إذ يقول التجاني:

ما كُنتُ أُوثِرُ في دِيني وتَوحِيدِي — خَوادعَ الآلِ عَن زادِي ومَوْرُودِي
غَرَرْنَ بِي وبَحَسْــبِي أنَّ رَوايَتي — مَلأى هُرِيقَتْ عَلى ظَمَأى مِن البِيدِ
أفرَغتُها وبَرَغْمِي أنَّها انحَدَرَتْ — بَيضاءُ كَالرُّوحِ في سَوداءَ صَيْخُودِ
ورُحْتُ لا أنا عَن مائي بِمُنتَهِلٍ — مَــاءً ولا أنا عَــنْ زَادِي بِمَسعُودِ
أَشُكُّ يُؤلِمُني شَكِّي وأبحَثُ عَن — بَرْدِ اليَقينِ فَيفْــنَى فيهِ مَجْهُــودِي
أَشُكُّ لا عَــن رِضًا مِني ويَقتُلُني — شَكِّي ويَذبُلُ مِن وَسواسِهِ عُودِي[96]

ومما يدل على أن هذه الفترة القاتمة في حياة الشاعر لم تدم طويلاً ؛ وأنه لــم يكن راضياً عنها، وحتى لا يظن الناس أنها ديدنه فيما تلاها من حياته، أن القصيدة التي أثبتها في ديوانه الأول بعد هذه القصيدة مباشرة نقيضة لها تماماً، واسمها (نشوة ناسك)، وقد جاءت مؤرخة بتاريخ 1944م، أي بعد عام واحد أو أقل من عام من تاريخ نظم القصــيدة الســابقة،

وفيها يقول معلناً امتثاله لأوامر الله، وهجره للخمر، واستنارة قلبه بضوء الإيمان، وذهاب الشك عنه، وتركه للغي:

سَكِرْتُ بِعُزْلَتِي وهَجَرْتُ رَاحِي فَمِنْ ذَاتِي غَبُوقِي واصْطِبَاحِي
وفَجْرُ الله أشْــرَقَ في فُــؤَادِي رَخِيَّ الضُــــوءِ بَرَّاقَ النَّوَاحِي
فمَا للشَّــكِّ ظِلٌّ فِي وُجُودِي وما للغَيِّ خَطْــــوٌ في مِرَاحِــي[97]

وعلى هذا النحو الغارق في الخيال الصوفي تأتي كل معاني القصيدة، وكأنه يعزو أمر تمرده السابق إلى اتباعه أقوال الفلاسفة التي بان له فيما بعد بطلان كثير منها فيما يتعلق بالعقيدة، كما صرح بذلك في قوله:

رأيتُ صَميمَ فَلْسَفَتِي طُيُوفًا تَقَشَّعُ عندَ مُنْبَلِجِ الصَّبَاحِ[98]

ويبدو أنه بعد إعلانه رجوعه في هذه القصيدة قد آمن ببعض عقائد المتصوفة كــالقول بوحــدة الوجود كما يبدو في قوله:

وما زَجْتُ الوُجُودَ فكُلُّ شَيْءٍ يُنَاجِينِي بِمَا يُرْضِي طِمَاحِي[99]

خاتمة:

يبين مما سبق أن الثورة قد كانت سمة من أبرز السمات التي اتسم بها شعر محمد محمد علي، وقد ظهرت ملامحها المتعددة واضحة في شعره، وبخاصة فــي ديوانـــه الأول (ألحـــان وأشجان) الذي نظمه في عنفوان شبابه، فقد تعددت ظواهر الثورة وتنوعت في شـــعره، فهـــي سياسية، واجتماعية، وعقدية، وتعليمية، وأدبية، وفي ديوانه الثاني (ظلال شاردة) يبدو أن شعلة هذه الثورة قد همدت قليلاً، وربما يرجع ذلك إلى عدة عوامل، منها تحرر بـــلاده مـــن نيـــر المستعمر الذي كان المحرك الأقوى للثورة في نفس الشاعر، ثم استسلام الشاعر للداء وإحساسه بقرب أجله، فوق ما ألم به من إحباط لإحساسه بعدم جدوى ثوراته الأخرى.

المراجع :

1- علي، محمد محمد علي،(1998م)، ديوان ألحان وأشجان، المقدمة، شركة دار البلد،الخرطوم،ط215
2- إبراهيم، د. حيدر إبراهيم علي، (2010م) ، مقال بعنوان(التجديد والمغايرة عند محمد محمد علي) صحيفة الصحافة بتاريخ 2010/10/18م
3- ألحان وأشجان المقدمة 6
4- المصدر السابق 65
5- المصدر السابق 75

6- المصدر السابق 43
7- علي، محمد محمد علي(1998م)، ظلال شاردة ، شركة دار البلد، الخرطوم،ط2، 28
8- المتنبي، أحمد بن الحسين، شرح ديوان المتنبي (1400هـ 1980م)،شرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت،341/4
9- مقدمة ظلال شاردة 7
10- شرح ديوان المتنبي 63/3
11- ألحان وأشجان 36
12- المصدر السابق 81
13- المصدر السابق 91
14- ظلال شاردة 49
15- علي، محمد محمد علي، (1821م،1924م)، الشعر السوداني في المعارك السياسية، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر1969م284.
16- ألحان وأشجان 60
17- ظلال شاردة 32
18- المصدر السابق 125
19- ألحان وأشجان 94
20- المصدر السابق 72
21- المصدر السابق 96
22- المصدر السابق 97
23- المصدر السابق 64
24- المصدر السابق 113
25- المصدر السابق 78
26- ظلال شاردة 91
27- المصدر السابق 109
28- المصدر السابق 110
29- المصدر السابق 26
30- المصدر السابق 83
31- المصدر السابق83
32- ألحان وأشجان 45
33- المصدر السابق 61
34- الشعر السوداني في المعارك السياسية 4

35- ألحان وأشجان 45
36- المصدر السابق92
37- المصدر السابق 75
38- المصدر السابق66
39- المصدر السابق111
40- المصدر السابق[1] 60
41- المصدر السابق 87
42- ظلال شاردة 91
43- المصدر السابق 83
44- المصدر السابق 81
45- المصدر السابق 64
46- المصدر السابق 77
47- المصدر السابق 81
48- المصدر السابق 121
49- ألحان وأشجان 61
50- المصدر السابق 47
51- المصدر السابق 41
52- المصدر السابق 56
53- المصدر السابق 57
54- المصدر السابق 88
55- المصدر السابق 47
56- المصدر السابق 104
57- ظلال شاردة 99
58- البنا، ديوان البنا، (1976م) عبد الله محمد عمر البنا، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، الخرطوم، ط2، 64
59- المصدر السابق 64
60- إبراهيم، محمد المكي إبراهيم، (1989م)، الفكر السوداني أصوله وتطوره، بدون مطبعة، ط2، 66
61- ديوان البنا 64
62- الفكر السوداني أصوله وتطوره 72
63- المصدر السابق 72

64- خير، أحمد خير (1995 م) ، كفاح جيل، 22 نقلاً عن اتجاهات الشعر السوداني المعاصر بعد الحرب العالمية الثانية، عبد الهادي صديق، دار الخرطوم للطباعة والنشر والتوزيع، الخرطوم، ط 1، 19.
65- الواثق، محمد الواثق، (2009م) الشعر السوداني في القرن العشرين،آراء وقصائد مختارة، مطبعة جامعة الخرطوم ط1، 33
66- المصدر السابق 34
67- ألحان وأشجان 105
68- المصدر السابق 68
69- ظلال شاردة 66
70- ألحان وأشجان 75
71- المصدر السابق 46
72- ظلال شاردة 122
73- ألحان وأشجان 66
74- ظلال شاردة 20
75- المصدر السابق 99
76- المصدر السابق 44
77- المصدر السابق 122
78- ألحان وأشجان 51
79- المصدر السابق 67
80- المصدر السابق 52
81- المصدر السابق 59
82- المصدر السابق 48
83- المصدر السابق 24
84- المصدر السابق 65
85- المصدر السابق 66
86- المصدر السابق 66
87- ظلال شاردة 6
88- المصدر السابق 122
89- ألحان وأشجان 67
90- المصدر السابق 67
91- المصدر السابق 67

92- ابن قتيبة،أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (بدون تاريخ) الشعر والشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت 174
93- ظلال شاردة107
94- المصدر السابق 107
95- بشير،التجاني يوسف بشير،(1987م) ديوان إشراقة ، دار العودة ، بيروت،ط7، 22.
96- ظلال شاردة 109
97- المصدر السابق 109
98- المصدر السابق 109